

أنا وأنت على الطريق الإساءة اللفظية تضر بالأطفال

صديقتي المستمعة،

هل تعلمين أن الإساءة اللفظية تضر بالأطفال؟ تعالي معي لنستمع إلى ما جاء في هذا التقرير:

كثيرا ما تتردد بين أفراد الأسرة جمل وعبارات تحمل الإساءة للأطفال ، وأخطر ما في تلك الجمل هو تلك التي تقال دون وعي بآثارها السلبية التي ستقع على الأبناء والتي قد تكون سبب انحرافهم أو أمراضهم النفسية أو فشلهم في حياتهم وقلة ثقتهم بأنفسهم. ومن هذه الجمل: إنك غبي، إنك كذاب، أو إطلاق ألقاب لا تليق به أو إطلاق أسماء حيوانات عليه. وما إلى ذلك من عبارات الاستهزاء بالشكل الخارجي للشخصية عندما يشاغب الطفل أو يقع في الخطأ. وقد لا يقصد الأهل من هذه الألفاظ وصفهم بما تحمله الكلمة من معنى دقيق بل يقصدون بها التخفيف من غضبهم وتوترهم وأحيانا تخرج الألفاظ كردة فعل على أخطاء الصغار متجاهلين تأثيرها عليهم. ولو أنهم امتلكوا الأريضية الثقافية والعلمية لأدركوا كيف يحولون تلك العبارات السلبية إلى عبارات إيجابية وتربوية تحمل التوجيه والإرشاد دون الإهانة أو الإساءة.

كما وتستخدم بعض الأمهات هذه الألفاظ من أجل أن يخافها أبنائها بعد شعورها بأنهم لا يطيعونها ولتخرج من ضعفها بعد تهديدها المنكر للطفل بعودة أبيه. ولذلك تفقد هذه التهديدات قيمتها وأهميتها عنده لأنه اعتاد على سماعها. والخطأ في هذه العبارة أيضا هي أنها توحى بضعف الأم واتكائها على زوجها. فلذلك يتمادى الطفل دون خوف في ظل غياب الأب عن المنزل . ويضيف التقرير ليقول أيضا: إن عبارات الذم والنهي والزجر لن يجد قائلها استجابة من الطرف الآخر. وقد تصبح الكلمات المستخدمة تجاه الطفل مع التكرار صفة لازمة له فيقتنع أنه كسلان مثلا. وعندها يصبح من الصعب أن تقنعه بالعكس. وقد تخلق لديه هذه الكلمة الكثير من المشكلات النفسية كعدم الثقة بالنفس أو الكره والحقد لكل من هو مجتهد، أو أنه يصبح حقيقة كسلان فيمتنع عن العمل وعن الدراسة ويتسم مسلكه بالسلبية في المجتمع فيغدو لا قيمة له وعالة على الآخرين وبعض الأهل لا يدركون أنهم كانوا السبب فيما وصل ابنهم أو ابنتهم إليه.

وينصح الأهل بعدم استعمال هذه العبارات التي تضر بنمو الأطفال النفسي والاجتماعي مثل عبارات: لم أعد أحبك، أو أنا أكرهك.. عندها يفقد الولد عنصر الأمان الأول بالنسبة له وهي الأم. وكذا عبارات المقارنة كأن نقول فلان أفضل منك. وعبارات

الإذعان الأعمى أي أن يطيع الولد الكبار بشكل أعمى. لأن في هذا ما يجعل الآخرين يستغلونه . بينما المطلوب تعليم الصغار احترام الكبار . وكذا عبارات التخويف والتهديد. كأن نقول للطفل إن لم تتم فسأتيك بالطبيب ليوخزك بإبرته. وهذه المخاوف ربما تترسب في عقله اللاواعي وقد يعلمه ذلك الكذب. أما عبارات التمييز بين الجنسين لا تجوز لأنها مخالفة لأبسط الحقوق الإنسانية كالعدل. فهل تجعل الفتاة تشعر بالدونية مما يجعلها تحقد على الجنس الآخر.

هل ترانا ننتبه لكلامنا الموجه لأولادنا أطفالنا فلذات كبدنا؟ الكلام يا صديقتي المستمعة بيني ويهدم ، يرشد ويحطم، يرفع ويهبط. اسمعي سيدتي ماذا قال الرب والفادي يسوع المسيح في تعليمه السامي للجمع من حوله عن الكلام الذي يخرج من أفواهنا قال: "من فضلة القلب يتكلم الفم.... الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخرج الصالحات. والإنسان الشرير من الكنز الشرير يُخرج الشرور. ولكن أقول لكم إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين. لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان." (متى ١٢: ٣٤ - ٣٧)

تري، هل فكرت بالكلمة سيدتي قبل أن تتطلق من فمك إلى أذن ابنك أو ابنتك؟ هل فكرت بمدى تأثيرها على هذه الأجيال الفتية؟ يقول الرب يسوع إنه من فضلة القلب يتكلم الفم. فإذا كان قلبك صالحا تكلمت بكل ما هو صالح وبناء وإيجابي. حتى لو انتقدت ابنك أو ابنتك في شيء ما ، فيجب أن يكون الانتقاد حكيما بناء مفيدا وصالحا. وإلا فإن العكس هو الصحيح. لأن القلب هو مصدر الفكر والكلام . ويقول الرسول بولس تأكيداً على ذلك ما يلي: " لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم بل كل ما كان صالحا للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمة للسامعين. " (أفسس ٤ : ٢٩)

ألا نحتاج كأهلين أن نتغير قلوبنا من الداخل يا سيدتي فربح حياتنا وأولادنا؟ لماذا لا نأتي إلى الله من كل القلب ونطلب منه أن يغيرنا وعسانا نقول مع النبي داود: **اختبرني يا الله واعرف قلبي. امتحنني واعرف أفكاري. وانظر إن كان فيّ طريق باطل واهدني طريقاً أبدياً.** (مزمو ١٣٩: ٢٣) لكي ننطق بكلام حكيم ورزين ومحب وصالح وبناء ، ينبغي أن يتغير مصدر الكلام أي القلب. فهل اعترفت صديقتي بخطاياك وطلبت من الله التغيير باسم الرب يسوع المسيح؟ هل تعلمين سيدتي أن الله القدوس لا يقبل الإنسان الخاطيء إلا إذا تقدّم إليه بواسطة الفادي يسوع المسيح؟ الذي حمل بنفسه عقاب خطاياك وخطاياي؟ وعلى أساس هذا الفداء العظيم يقدر أي منا أن يتقدم إلى الله لكي ينال الغفران ويحصل على التغيير في قلبه. فهل تؤمنين؟